



عوامل قيام الحضارة بين مالك بن نبي وعبد المجيد النجار - دراسة مقارنة -

factors for the Rise of Civilization between Malik ibn Nabi and Abd al-Majid al-Najjar -A Comparative Study-

محمد مهدي لخضر بن ناصر

مخبر الدراسات الشرعية
جامعة تلمسان (الجزائر)
bahtilmi@hotmail.fr

فاطمة طير *

مخبر الدراسات الشرعية
جامعة تلمسان (الجزائر)
fatimatlemcen18@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/11/15

تاريخ القبول: 2024/06/29

تاريخ الاستلام: 2023/12/18

ملخص:

اشتغل مالك بن نبي وعبد المجيد النجار على قضية الحضارة وكيفية تحقيقها على أرض الواقع، فأبهرنا كل منهما بما جادت به قريحته، ووضع كل منهما مشروعا متكاملا يخص هذه القضية الجوهرية التي أرقت عقول العلماء والمفكرين، وقدم كل منهما منهجا إسلاميا يرسم فيه سبيل تحقيق هذه الغاية المنشودة، فما كان من بن نبي إلا أن ألّف الكتب العديدة التي توضح مشروعه، ضمّنّا خلاصة ما توصل إليه من خلال علمه وتجربته، مستعملا المنطق العلمي والقلم الأدبي والأسلوب النفسي، ودارسا لأعراض الأمة العميقة، وركز على عوامل ثلاث لتحقيق الحضارة هي الإنسان والوقت والتراب؛ بينما رأى النجار أن مرتبط الفرس في تشييد الحضارة يكمن في إصلاح علم العقيدة، وتفعيل العقيدة الإسلامية في الأنفس والقلوب حتى تصبح المحرك والدافع للتّحضر والضّابط له كذلك، فقدّم مشروعه التحضري في سلسلة الشهود الحضاري.

الكلمات المفتاحية: مالك بن نبي؛ عبد المجيد النجار؛ عوامل؛ الحضارة.

Abstract :

Both Malik ibn Nabi and Abdul-Majeed Al-Najjar made significant contributions to the issue of civilization and how to achieve it in reality. Ibn Nabi, through his extensive knowledge and experience, developed a comprehensive project that focused on three factors for achieving civilization: human beings, time, and the land. His books provide a wealth of

* المؤلف المراسل.

insights, utilizing scientific reasoning, literary expression, and psychological methods. On the other hand, Al-Najjar emphasized the importance of reforming the science of creed and activating Islamic beliefs within individuals and their hearts. He saw this as the driving force and regulator for advancement. His civilizational project can be explored in his series titled "The Witnesses of Civilization."

Keywords: Mālik ibn Nabī; Abd al-Majīd al-Najjār; Civilization; factors .

1. مقدمة

تشغل قضايا الحضارة بال الكثير من المفكرين في العصر الحديث والمعاصر، وزاد الاهتمام بها منذ سقوط الخلافة العثمانية سنة 1924، وأقول نجم السلطان الإسلامي لأول مرة في تاريخ الحضارة الإسلامية منذ قيامها، فانفلت عقد الأمة وأصبحت أشتاتا تتداعى عليها الأمم بعد أن كانت تحت راية واحدة تجمعها بغض النظر عما كان فيها من النقائص، وها نحن اليوم نقرب من إتمام القرن على هذا الوضع الذي تراجع فيه سهم المسلمين وانخفض صيتهم في العالم، في حين تعالت الصيحات المنافية له من الشرق والغرب، ولكن بالرغم من هذا فالأمل كبير في جيل المسلمين الحديث الذي تلوح بوادر نهضته في الأفق، خاصة بعد ظهور تيار الصحوة الإسلامية سبعينيات القرن الماضي، واشتغال العديد من المفكرين والفلاسفة والعلماء بموضوع التحضر وكيفية تحقيقه، الموضوع الذي سال فيه الحبر الكثير، وقدم كل من المنشغلين به عصارة تفكيره وما توصل إليه بعلمه، وأفضى كل منهم بما جادت به قريحته من آراء وتوجيهات، وقد اتخذت كل طائفة منهم سبيلا تراه الأنسب لتحقيق المراد، بين من يرى أن النجاح في العملية التحضرية لا يكون إلا باستجلاب الوسائل والمناهج التي أوصلت الغرب لحدائهم، وبين من يرى أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وقد كانت كثير من هذه المقترحات إما تهاجر بنا نحو الجغرافيا أو ترحل بنا عبر التاريخ، بين متأثر بالغرب أو الشرق، وبين متطلع لاسترجاع الأمجاد التاريخية القديمة، كما كان لكل ساع للإصلاح ولكل حركة إصلاحية جوانب ركزت عليها وأعطتها الأولوية باعتبارها العامل الأهم لتحقيق التحضر؛ ولا يزال الأمر كذلك حتى يومنا هذا، سعيا في إيجاد الحل لأزمة الأمة الإسلامية، وقد بدأت تظهر بعض النجاحات هنا وهناك داخل رقعتنا الجغرافية الواسعة، لكن لم نصل لحد الساعة للحضارة الإسلامية الشاملة بكل معانيها؛ ومن أبرز المفكرين الذين احترقوا هذا الميدان فيلسوف الحضارة مالك بن نبي الجزائري، والذي سار على نهجه عبد المجيد النجار التونسي صاحب ثلاثية الشهود الحضاري، وعند التعرض لفكر هذين العلمين، عرض لنا إشكال ارتأينا أن نعالجه في هذا البحث، ما هي أوجه الائتلاف والاختلاف في عوامل قيام الحضارة بين مالك بن نبي وعبد المجيد النجار؟ ويندرج تحته تساؤلين ثانويين وهما: ما هي عوامل التحضر في فكر بن نبي؟ وفيما تتمثل هذه العوامل أيضا عند عبد المجيد النجار؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية أعددت هذه الورقات البحثية التي تحمل عنوان "عوامل التحضر بين مالك بن نبي وعبد المجيد النجار-دراسة مقارنة- " فاعتمدت المنهج

الاستقصائي لاستقصاء آراء وأفكار بن نبي فيما يتعلق بعوامل قيام الحضارة، وكذا أقوال النجار في ذلك، والمنهج المقارن لمقارنة آراء هذين العلمين وتبيين نقاط الاتفاق والافتراق الموجودة بينهما، ومعرفة الجوانب التي أولاها كل واحد منهما الأهمية الأكبر في تحقيق الحضارة، علّنا نقدم رؤية أوسع واقتراحاً أشمل في إطار البحث عن حلول لمعضلة التحضر الإسلامي، بجمع أفكار الرجلين المهتمين بهذا المجال؛ وبناء على هذا قسمت البحث لثلاثة أقسام: تناولت في الأول عوامل التّحضّر في فكر بن نبي، وفي الثاني عوامل التحضر عند النجار، وخصصت القسم الأخير للمقارنة بينهما، معتمدة على كتاب شروط النهضة لابن نبي والشهود الحضاري-فقه التحضر- للنجار، كمصدرين رئيسيين بالإضافة لكتب أخرى من مؤلفات المفكرين وغيرها من المراجع.

2- عوامل التحضر عند مالك بن نبي

سعى المفكر الجزائري مالك بن نبي من خلال مؤلفاته رسم الطريق المنهجي ووضع البوصلة الفكرية وإرشاد الطامحين في تحقيق التحضر للنهج الذي يوصلهم لهدفهم المبتغى، فتناول قضايا التحضر بتمحيص دقيق ومن زوايا عدة، تاريخية واجتماعية ونفسية واقتصادية وغيرها، ويظهر ذلك في دراسته للمجتمع الإسلامي منذ نشأته الأولى على يد الرسول الأكرم سيدنا محمد ﷺ، ثم اهتمامه بشؤون الحركات الإصلاحية الحديثة والمعاصرة، مازجا ذلك كله بما استفاده من تكوينه الغربي ومعايشته للحضارة الأوروبية، مع دراسته للواقع الإسلامي والجزائري على وجه الخصوص، مطلقاً على التجارب الحضارية التي تسعى بعض الدول إلى تحقيقها كألمانيا واليابان وأندونيسيا، فهو متسع الاطلاع واسع الثقافة وهذا ما ميّزه عن غيره وجعل أطروحته الفكرية تختلف عن بقية المنظرين للحضارة، وللتعرف على العوامل التي عدّها بن نبي ضرورة لقيام أي حضارة لا بدّ أولاً من التّطرق لمفهوم الحضارة عنده.

1.2. مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي:

مصطلح الحضارة من المصطلحات العربية القديمة والتي تأخر ظهورها في العالم الغربي، بغضّ النظر عن تغير مفهوم المصطلح العربي القديم عن المقصود الجديد، فالحضارة في معاجم اللّغة مشتقة من الفعل حضر، حضروا وحضارة، وتعني الإقامة في الحضر وهي المدن، والحضر خلاف البدو، والحاضرة خلاف البادية، لأنّ أهل الحاضرة حضروا الأمصار والديار، وتكاد تجمع قواميس اللّغة العربية على أنّ الحضارة من الحضر، وهي الإقامة في الحضر أي المدن عكس الإقامة في البدو، لأنّ مظاهر التّحضّر المادية تتجسد في المدن، حتى صار الدارج على ألسنتنا نحن الجزائريين خاصة في تلمسان التعبير القائل هذا الشخص حَضري أي من سكان المدينة الأصليين، وليس الذين جاءوا من البادية، فالحضارة هي انتقال من حياة البداوة إلى حياة الحضر، وهي المرحلة المتقدمة للحياة الإنسانية، ثم اتّسع الحقل اللّغوي لمصطلح الحضارة ليدلّ على التّمدن والتّطور والرفق والتّقدم المادي والمعنوي.

ووضع لمصطلح الحضارة تعريفات كثيرة من قبل المهتمين بالشأن الحضاري والتاريخي، وتحمل مفهومها أبعادا كثيرة بحسب وجهة النظر التي يرى منها الباحث موضوع الحضارة، فعرفها بن خلدون قائلا: "فالحضارة كما علمت هي الترفن في الترف و استجادة أحواله والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيأة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو المفارش أو الآنية ولسائر أحوال المنزل، وللتأنق في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند البداوة وعدم التأنق فيها"¹، وبالتالي فإن بن خلدون يربط الحضارة بمنتجاتها المادية، لأنه يعتبر العملية التحضرية دائرة مغلقة تبدأ بالبداوة التي تتميز بالعصبية ثم التحضر ثم الترف ثم التدهور وهكذا، في حين يعبر عن مفهوم الحضارة المتداول اليوم بمصطلح الدولة - نظرا للوقائع التاريخية التي كان يعيشها- و يمثل ابن خلدون التيار القائل بدورية الحضارة وتعاقيها، والذي يتبعه فيه بن نبي² بحيث يعتبر هو كذلك الحضارة عبارة عن دورة مغلقة فيقول: "إذا نظرنا إلى الأشياء من الوجهة الكونية فإننا نرى الحضارة تسير كما تسير الشمس، فكأنها تدور حول الأرض، مشرقة في أفق هذا الشعب ثم متحولة إلى أفق شعب آخر"³ وهكذا دواليك تشرق ثم تغيب ثم تعيد الإشراق مرة أخرى مصداقا لقوله تعالى: "وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ" (آل عمران-40)؛ أما عن مفهوم الحضارة فيختلف تعريف بن نبي عن بن خلدون، لأن بن نبي يرى ما عرف به بن خلدون الحضارة إنما هي منتجاتها وتمظهراتها، بينما يعرفها هو بقوله: "هي مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفرادها، في كل طور من أطوار وجوده، منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه"⁴؛ فالحضارة عند مالك بن نبي هي التي تستطيع أن تمنح المجتمع القدرة الاقتصادية التي تميزه كمجتمع نام، كما تمنحه إرادة استخدام هذه القدرة في حل مشاكله، كما أن الحضارة هي التي تشكل هذه القدرة وهذه الإرادة اللتين لا تقبلان الانفصال عن وظيفة المجتمع النامي، داخل المساحة الخاصة به، في إشعاعه الثقافي والاقتصادي وحتى في توسعه السياسي والامبريالي كذلك⁵، وكأننا بهذا المفهوم الذي قدمه بن نبي نستشعر أهمية تحرر المجتمع الذي يروم تحقيق الحضارة تحررا سياسيا واقتصاديا وثقافيا، وهذا هو التعريف الوظيفي الذي اقترحه مالك للحضارة، وقد وضع لها تعريفا آخر تحليليا، عبارة عن معادلة رياضية تنم عن عقل المهندس الرياضي، وهي:

$$\text{الحضارة} = \text{إنسان} + \text{تراب} + \text{وقت}$$

1- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج 1، ص 465.

2- عيساوة وهيبة، مفهوم الحضارة عند بن خلدون وأبعاده، ص 394، <https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/305/1/2/31786>

3- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 49.

4- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ص 43.

5- المصدر نفسه، ص 43.

فقد جعل لقيام الحضارة ثلاث عوامل هي الإنسان، والوقت الذي هو الزمن، والتراب وهو البيئة الذي يوجد بها، وعامل التفاعل أو ما أسماه بـ "مركب الحضارة" في هذه المعادلة هو الفكرة الدينية؛ يريد مالك بن نبي من خلال هذا الطرح أن يتمكن العالم الإسلامي من تركيب الحضارة، لا اقتناء منتجاتها فحسب، لأن مجرد اشتراء منتجات الحضارة يحصل ما أسماه "الحضارة الشيئية" وتكديس الأشياء الحضارية¹، وهذا الأمر لا يغني ولا يضمن من جوع، حتى وإن أحدث حالة حضارية ما، لكنّه يستحيل أن يحقق للعالم الإسلامي حضارة تميزه وتختص بخصائصه، فالقاعدة عند مالك بن نبي: "أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها"² وليس العكس.

وقد اهتم فيلسوف الحضارة أيما اهتمام بمشكلة الحضارة إدراكا منه أنّ القضية الجوهرية والمصيرية لكلّ مجتمع هي تحقيق الحضارة فكيف به إذا كان مجتمعا يعاني ويلات التخلف والاستعمار والأمية، وقد قال في أحد حواراته: "إنّ المشكلة التي استقطبت تفكيري واهتماماتي منذ ربع قرن وحتى الآن هي مشكلة الحضارة"³؛ ولاشتغال بن نبي بمشكلة الحضارة انكب على دراسة النماذج الحضارية، وكذا أفكار المصلحين في العالم الإسلامي الذي اهتموا بذات الشأن، لكنه يرى أنهم لم يصيبوا موطن الداء ولكن اكتفوا بمعالجة الأعراض المرضية كل من وجهة نظره، ويمثل بجمال الدين الأفغاني الذي يرى مشكلة الحضارة من منظور الرجل السياسي، والتي لا حل لها إلا بالسياسة، ومحمد عبده المفكر الإسلامي الذي يرى حل أزمة الحضارة بالتجديد في الفكر الإسلامي⁴؛ لكن بن نبي يرى أن مشكلة الحضارة أعمق من هذا، ولايجاد الحل لها لا بد من الإيغال في دراسة المجتمع المسلم وخصائصه والتغيرات التي يعمل عليها أولئك المصلحون ما هي إلا إرهابات حضارية.

2.2- عوامل قيام الحضارة عند مالك بن نبي:

كما أسلفنا القول فإنّ مالك بن نبي يجمع عوامل قيام الحضارة في المعادلة الوظيفية:

الحضارة = إنسان + وقت + تراب

مشيها الحضارة بالتفاعل الكيميائي الذي يعبر عن امتزاج مكونات معينة في ظروف معينة وبعوامل تفاعل معينة، وبالتالي فإنّ الحضارة عنده تقوم بثلاث مكونات رئيسية هي الإنسان والوقت والتراب، والعامل المركب المفاعل لهذه العناصر هو العامل الديني أو الفكرة الدينية⁵ كما يسميها بن نبي، وقد

1 - مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، ص 44.

2 - المصدر نفسه، ص 42

3 - سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، نقلا عن نص حوار مع مالك بن نبي من مجلة الشبان المسلمين، العدد 171، ماي 1971، ص 39.

4 - مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 41.

5 - يطلق مالك بن نبي لفظ الفكرة للتعبير عن العقيدة الدينية التي تدفع المعتقد بها للعمل الحضاري، ومفهومها عنده يشمل كل الاعتقادات الاعتقادات الدينية سواء السماوية أو الوضعية، بل يجعل الفكرة العقيدة أساس الحضارات اللادينية كذلك، إذ يعتبر ماديتها أو إلحادها هو ما تدين به، وعلى أساسه تبني حضارتها، لكن جرّ هذا الاصطلاح للدائرة الفكرية الإسلامية كان عليه بعض الانتقاد، إذ يرى البعض أن التعبير عن الدين بالفكرة لا يليق بالعقيدة الإسلامية، لأن الفكرة في عمومها منشؤها إنساني، وعقيدتنا الإسلامية ربانية المصدر ولا دخل للفكر البشري فيها.

خصّ بالشرح والتحليل هذه العوامل معتبرا أن مشاكل الحضارة ليست في السياسة ولا الفهم ولا الدين، وإنما مشاكلها تكمن في هذه النقاط الثلاث، يقول بن نبي: "وتحت هذا الشكل تشير صيغة مشاكل الحضارة تنحل إلى ثلاث مشكلات رئيسية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت، فلكي نقيم بناء حضارة لا يكون بأن نكدس المنتجات، وإنما بأن نحل المشكلات الثلاثة من أساسها"¹، ولا تكون مجرد علاج لأعراض مرض التخلف عن التحضر، لأن القضية تتصل بالكيان الحضاري كله، بروحه الهامدة وإرادته الخامدة، من أجل إعادة ارتباط المسلم بالسنن الكونية من خلال عقيدة حضارية قادرة، حتى يعرف المسلم موقعه من الكون ورسالته الإنسانية فيه، وبهذا الطرح العميق

ابتدأ بن نبي بالتنظير لتحقيق حضارة إسلامية تختص بخصائص الإسلام، وتمتاز بتعاليم الإسلام تدفعها قُدماء الروح الإسلامية.

1.2.2 عامل الإنسان:

عامل الإنسان هو العنصر الأول من عناصر المعادلة الحضارية، وعليه مدارها لذا سنتناوله بشيء من التفصيل على عكس العنصرين الآخرين، لما له من أولوية عليهما، وللإنسان في فكر بن نبي الأهمية الكبرى، لأنه هو المحور الرئيسي الذي تدور عليه مشكلات الحضارة، لأن فكره القويم هو المشيد لها، وهو رأس مال الحضارة الأساسي الذي به وعليه تقوم، فإذا لم نغير في جوهر الحضارة وهو العنصر البشري فإن شيئا لن يتغير ولو قمنا بجلب منتجاتها كلها فلن يكون ذلك إلا تكديسا للأشياء فقط، لأن القضية ليست قضية وسائل وإمكانات، وإنما القضية تكمن في أنفسنا نحن، إن علينا أن ندرس أولا الجهاز الاجتماعي وهو الإنسان، فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ، وإذا سكن سكن المجتمع والتاريخ²، لأن فعالية الإنسان في الأرض هي الدينامو المحرك لدورة الحضارة والسائق لعجلتها، فقد خلق الله عز وجل الإنسان وجعله المخلوق المكرم "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ" (الإسراء: 70)، المخلوق في أحسن تقويم حتى يقوم بمهمته على أحسن وجه "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" (البلد: 4)

ووكّله المولى بخلافته في الأرض "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة: 30) و أمره بالتعمير فيها "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا" (هود: 61)، وقد ميّزه بالعقل الذي خصّ به من دون الكائنات حتى يصلح للاستخلاف "عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (العلق: 5)، ثم ميّزه بالإرادة في اختيار السبيل "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" (البلد: 10)، وهذه الإرادة هي التي تصنع الفرق، وهي التي تعطينا إنسان يؤثر في مجريات التاريخ أو يتأثر بها فقط، فالله لم يكلفنا إلا بعد أن منحنا الإرادة وبين لنا سبيل الحق من الضلال، وبعدها يحاسب كل امرئ بما أراد وكسب "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي

1 - مالك بن نبي، شروط النهضة، 45.

2 - مالك بن نبي، تأملات، ص 129

الْأَرْضِ وَلَا فُسَاداً وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" (القصص:83) فالمفسدون في الأرض الذين لم يعمروا فيها واستكبروا عن عبادة الله وخلافته لا يكون لهم نصيب من الآخرة، أما في الدنيا فلا يؤتى النصيب الأفضل فيها إلا من اختار الصّلاح سبيلاً "أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (الأنبياء:105)؛ وعلى الإرادة ركز مالك بن نبي في تحليلاته لجذور الإشكالات الحضارية، بحيث يرى أنّها مناط الفاعلية ولولا ذلك لنشأت حضارة بشكل تلقائي بمجرد وجود إنسان متدين ووقت وتراب، لكن هذا يستحيل أن يحدث لولا إرادة الإنسان فهي العنصر الذي يصنع الفرق، وهي المفاعل الخفي في معادلة الحضارة،

ومحل هذه الإرادة التّفّس، لذا إن لم تغبّر الأنفس حتى تمتاز بالإرادة القوية فلن يحصل التغير المنشود الذي يبني الحضارة، يقول تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ" (الرعد:11)، حتى أن بن نبي قد جعل من دلالات الحضارة منح الإرادة لمجتمع ما لحلّ مشاكله، وبالتالي فالإرادة عنده نوعين: إرادة فردية تختص بالإنسان الفرد، لكنها تستلهم من الإرادة الجماعية فالفرد يحقق ذاته بفضل إرادة وقدرة تنبعان من المجتمع الذي هو جزء منه¹، وهذه الإرادة الجماعية التي تكون للمجتمع الرامي بلوغ الحضارة لا بدّ أن تكون إرادة حرة لأن الحضارة الحقّة لا تتحقق إن كان المجتمع مسلوب الإرادة ولو تحققت مظهراتها، يقول مالك: "إذا كانت هذه الإرادة ملازمة لجوهر الحضارة ذاته ومتضمنة لمعطياتها الأصلية في شكل إحسان أو زكاة أو صدقة... (مثلاً) فإن قدرتها-يعني الاقتصادية- ستتشكل بصورة تدريجية"²، وعنصر الإرادة هو الذي يلزم أن ترعاه أيادي الإصلاح إن هي أرادت تأسيس الحضارة على أصول ثابتة.

وبتفعيل هذه الإرادة نصنع كما قال بن نبي: "رجالاً يمشون في التّاريخ مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى"³، فتفاعل الإنسان مع الإمكانيات المحيطة به في إطارها الزمني هو الذي دفع التاريخ في مسيرته، والتاريخ حينما يتحدّث عن الإنسان المتحرك في إطاره والمتفاعل مع وسائله والمسيطر على مصيره يتحدّث عن الحضارة الدينية المتعاقبة عبر حقبة⁴؛ فإذا قلنا أنّ العوامل الاقتصادية في تطورها أو ركودها هي الوجه البين لحال الحضارة أي في الأوج أو الحضيض، فإنّ هذه العوامل الاقتصادية خاضعة بالضرورة للعوامل الإنسانية، فجميع القيم الاقتصادية ترتبط من حيث الفعالية والتأثير بحالات خاصة تتأثر بالعوامل الإنسانية، فإنّ إنتاجها يزيد وينقص حسب ما يعتري الوسط الإنساني من اندفاع أو فتور⁵، ويمثل مالك في عديد من مؤلفاته لهذا الوضع بنجاح النهضة الألمانية التي

1- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، ص42.

2- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ص43.

3- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص75.

4- بركات محمد مراد، مالك بن نبي فيلسوف الحضارة وشاهد القرن، ص9.

5- مالك بن نبي، تأملات، ص56.

استثمرت في العنصر البشري، وفشلها في أندونيسيا رغم ما سخرته بسبب عدم دراسة هذا العنصر الدراسة المستوفية وتفعيله التفعيل الصحيح، كما أن الصين التي وضعت قانون تحديد النسل، وحددت سياسة الطفل الواحد قد تراجعت عن هذا القرار بعد إدراكها لأهمية العنصر البشري في تحقيق النهضة¹، ووجهت جلّ اهتمامها للتربية والتعليم وأهمية تنشئة الطفل تنشئة مثمرة تدفع للعمل والإنتاج وما حصل بعد مالك بن نبي من غزو السلع الصينية للسوق العالمية لأكثر دليل عن نجاح مشروعها، فلولا العدد العامل من أبنائها لما استطاعت بلوغ هذا المبلغ.

وعملاً بمقتضى أهمية عنصر الإنسان في الحضارة، وأنه هو المتحكم في منحناها صعوداً ونزولاً وركوداً، فقد قسم الحضارة إلى ثلاثة أطوار تتغير بتغير الإنسان الموجه لها:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل الحضارة وهي نقطة الانطلاق، ويكون الإنسان فيها متسماً بالبساطة الفطرية، فإنسان ما قبل الحضارة هو رجل الفطرة الذي لم يبدأ مسيرته في التاريخ، فاكتفى بنقل الأفكار والأشياء وقد أسماه بعمر "الشيء" وضرب له مثلاً بالبيئة الجاهلية التي سبقت البعثة المحمدية، وكذلك الأمر بالنسبة لجميع الحضارات الإنسانية منذ الأزل، وتمثل هذه المرحلة في منحى الحضارة نقطة الصفر وفيها لا يوجد غير عالم الأشياء.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة الحضارة التي تسيطر فيها الروح على الغريزة الفطرية للإنسان ما قبل التحضر، ويكون بفضل الفكرة الدينية التي ترسخ شيئاً فشيئاً في الروح الإنسانية، وكلما زادت طاقة الفكرة الدينية زادت قوة الروح وقوة الرابطة الاجتماعية، فيصنع "عالم الأشخاص" المثالي الذي يعمل لتحقيق الحضارة بفكرة واحدة تجمعهم، وروح متقدة تلملمه، ومثال بن نبي هنا كان مجتمع الأنصار والمهاجرين، بعد حصول المنعطف الروحي لهؤلاء إذ دخلوا في الإسلام وتشبعوا بروحه المتقدة في أنفسهم، فشكّلوا "عالم أشخاص" مثالي كان وقود الحضارة الإسلامية وهذا نظراً لرقى أرواحهم وتحققها بالعقيدة الإسلامية الصحيحة؛ ومع مرور التاريخ وتولد الأزمات في مسيرة الحضارة تبدأ سطوة الروح في التناقص بينما تغلبها سطوة العقل، وهنا ينشأ "عالم الأفكار" وهذا لاندماج الحضارة في التاريخ الأمر الذي يستلزم أن يكون للأفكار دور وظيفي²، فعالم الأفكار يكون ضرورة حتمية لتغير الأوضاع بعد تشييد الحضارة واستلزام تحكيم العقل وصنع الأفكار التي تنظم هذه الحضارى وتطورها، فالمرحلة الثانية من دورة الحضارة عند مالك تشمل عالمين "عالم الأشخاص" ثم تترقى لـ "عالم الأفكار" ويمثل هذا الطور عمر "الفكرة" مقابل عمر "الشيء" الذي كان عند نقطة الانطلاق.

المرحلة الثالثة: مرحلة ما بعد الحضارة والتي تسيطر فيها الغرائز من جديد على العقل بعد أن سيطر هو الآخر على الروح، وخبث جذوة الفكرة الدينية الفعالة، ويرجع الإنسان في نقطة الارتداد بعد سيطرة

1 - المصدر السابق، ص 57.

2 - مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، ص 40.

الغرائز عليه ل"عالم الأشياء" من جديد، لكن هذه المرة سيكون هذا العالم مختلفا عن سابقه فلن يكون بتلك البساطة التي كان فيها من قبل، فالأشياء هنا تعيد سيطرتها على العقل والوعي، وغالبا ما تكون تافهة براقية، وهو ما نسميه اليوم بعصر الاستهلاك الذي نعيشه، ويتغير كذلك عالم الأشخاص فيتحول إلى المتصوفين ثم الدجالين المخادعين¹ بتعبير بن نبي، وهو حقيقة ما يحدث للحضارة الغربية اليوم، فبعد طغيان المادة عليها واستوحاش روحها الجافية صارت تهتم بعالم الغيبيات لكن بالطريق المنحرف بالسحر أو الشعوذة وغيرها؛ و تقسيم الحضارة عند بن نبي لهذه المراحل الثلاث يشمل كل الحضارات، وقد استنتج هذا التقسيم بعد استقراره لأحوال الأمم والحضارات السابقة والراهنة، فذهب لما ذهب إليه بن خلدون وتوينبي وغيرهم من فلاسفة الحضارة الذين يقولون بحتمية هذه الدورة الحضارية، لكن قد لا يكون الأمر سيان بالنسبة للحضارة الإسلامية، وقد تستطيع هذه الحضارة أن تدوم وتستمر في الوجود دون انحدار وفناء، حتى وإن شأها بعض الشوائب وانعرجت في منعطفاتها التاريخية بعض الانعرجات الخطيرة، بحكم أتمها من التعمير والاستخلاف المفروض شرعا على الإنسان، ولكونها فعل إرادي يستطيع الإنسان بملك إرادته القيام به أو تركه، ولا وجود لما يضطره للتقهقر والانحدار إلى الأوضاع الغريزية المزرية².

و يوجه بن نبي الإنسان المسلم للمجالات التي ينبغي له الترقى فيها، يذكرها بالتفصيل في كتابه شروط النهضة، وبالإشارة والإجمال في مؤلفاته الأخرى، وهي على سبيل الاختصار:

أ-التوجيه الثقافي و الاجتماعي: وقد حلل المشكلة الثقافية وأفاض فيها كثيرا، باعتبارها من مشاكل العالم الإسلامي العويصة، وباعتبارها المكون للسلوك الاجتماعي وليس العلم والتعلم في غالب الأحيان، فالرصيد الثقافي المرشد هو الذي يخلق لنا سلوكا فرديا وجماعيا فعلا، وتحت هذا التوجيه تنبثق العناصر الأخرى التالية؛ أما تعريف الثقافة عند بن نبي فهي: "مجموعة من الصفات الخلقية و القيم الاجتماعية التي يلهاها الفرد منذ ولادته، كراسمال أول في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد شخصيته وطباعه"³

ولتوجيه الثقافة توجيها سليما يقترح تحديد الأوضاع بطريقتين:

*تحديد سلبي: يفصلنا عن رواسب الماضي، فلا بد من تصفية عاداتنا وتقاليدينا وكل موروثاتنا الثقافية، وأطرنا الأخلاقية والاجتماعية من أي عوامل قتالة وأفكار مُميتة، حتى يصفو الجو للعوامل الحية الدافعة للحياة، وبلغة التزكية لا بد من التخلية قبل التحلية.

1 - المصدر السابق، ص 42.

2- وهذا هو الرأي الذي يتبناه عبد المجيد النجار بالنسبة لمسألة الدورة الحضارية.

3 - مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 83.

*تحديد إيجابي: يصلنا بمقتضيات المستقبل، وقد جاء القرآن بهذين التحديدين، فنفي الأفكار الجاهلية البالية، ورسم طريق الفكرة الإسلامية الصافية التي تخطط للمستقبل بطريقة إيجابية، وهذا العمل نفسه لازم للنهضة اليوم¹.

ب-توجيه ديني أخلاقي: الأخلاق تلك الصفة المستقرة في النفس التي تصدر عن الإنسان بصفة تلقائية دون تكلفة²، تنظم حياة الأفراد الشخصية والاجتماعية إن كانت محمودة، وتفرق شملهم وتشتت صفهم إن كانت مذمومة، فالقيمة الخلقية تعتبر عنصرا جوهريا في النشاط المشترك الذي يتم بفضل وجود شبكة العلاقات الاجتماعية³، لأن هذه القيم الأخلاقية محل اتفاق في المجمل بين جميع الناس كيفما كانت دياناتهم وتوجهاتهم، وهذه الروح الخلقية منحة من السماء إلى الأرض تأتينا مع نزول الديانات عندما تولد الحضارات، ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض⁴ كما يشير قوله تعالى: "وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (الأنفال: 63)

وللأخلاق في الإسلام المكانة العظمى فكلنا يحفظ حديث النبي ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"⁵، فالأخلاق هي المقياس الحقيقي لتحضر أمة من تخلفها، وجانب القيم والأخلاق لم يوف حقه كما في الحضارة الإسلامية التي استمدت الأخلاق من قوة الإسلام، فكما حدد الوحي للمسلمين ما يجب عليهم اعتقاده حدد لهم كذلك ما عليهم أن يتخلقوا به، ولهذا ظل المجتمع المسلم محافظا على ذات الأخلاق التي نص عليها مصدرهم المقدس، وهذا ما أعطى للنظام الإسلامي ثباتا وقوة⁶، وقدسية القيم الأخلاقية في الإسلام منحها السلطة الاجتماعية، فالكل موقن ومعتز بنوعية الأخلاق التي لا بد له من التحلي بها فعل أم لم يفعل، لولا بعض الصيحات التي تسمع هنا وهناك في بعض الأحيان تدعو للتحرر من الأخلاق وأن عصر المادية لا يعترف بهذه القيم وإنما هو عصر قائم بالضرورة على البراغماتية والنفعية الفردية فحسب، وهذا لعمرى إيدان بالخراب لأن لقت هذه الأصوات أذانا سامعة، فإن الله قد جعل من سننه في هلاك المجتمعات ظهور الفئات المختلفة أخلاقيا، يقول تعالى: "وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا" (الإسراء: 16)، لذا فإن السبب المباشر وراء هلاك الأمم ليس هو التخلف العلمي والعملية فقط وإنما زوال الأخلاق، وهذه سنة الله الماضية في خلقه، وقديما قال الشاعر أحمد شوقي:

1 - المصدر السابق، ص 81.

2 - عطار إكرام، المسألة العقدية والأخلاقية في المشروع الإصلاحي لمالك بن نبي، ص 165.

3 - مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص 46.

4 - مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 88.

5 - صحيح البخاري، الأدب المفرد، باب حسن الخلق، رقم 276، ص 67.

6 - عطار إكرام، المسألة العقدية والأخلاقية في المشروع الإصلاحي عند مالك بن نبي، ص 175.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

وعلى هذا الأساس بنى مالك بن نبي المرحلة الثالثة من أطوار الدورة الحضارية، وهي مرحلة الغريزة، فحين تغيب الأخلاق تسيطر الغرائز على الفعل الإنساني، وبالتالي تأفل شمس حضارته؛ ومن ضمن الأخلاق التي ركز عليها مالك بن نبي خلقين عظيمين كانا هما أول ما بثه النبي ﷺ في دولة الإسلام حين تأسيسها، وأول ما فعله كذلك بعد الهجرة للمدينة، أولهما المؤاخاة، فقد حرص الرسول ﷺ على المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وقد رسموا هم بذلك أروع النماذج على مر التاريخ في الإيثار والأخوة الحقّة، وثانيهما التعايش، فقد عمد الرسول ﷺ لإبرام المعاهدات مع يهود المدينة على التعايش بسلام، وتعاهد مع اليهود على نصره المظلوم والدفاع مع المسلمين عن المدينة ضد أي هجوم خارجي وهذا ما توجبه الضرورة الحضارية ومسؤوليات قيام الدولة، لأن اشتراكهم في الحيز الجغرافي الواحد يلزمهم التعايش مع بعض وتقديم المصلحة المشتركة على اختلافاتهم-لولا مكر اليهود لعنهم الله-؛ واختيار مالك لهذين الخلقين ليدل على التزامه بالتنظير لحضارة إسلامية تتمتع بكل خصائص الإسلام وتسير على ضوء الوحي القرآني والهدي النبوي، وتأكيداً منه على أولوية التآخي في سلم القيم الأخلاقية والاجتماعية يقول: "والشرط الأول لتحقيق مشروع النهضة هو التآلف بين الأشخاص، وهو تألف يحدث طبقاً لمنهج تربوي يأخذ صورة أخلاقية"¹، فقوة التماسك كما مثلها مجتمع المهاجرين والأنصار بداية قيام الحضارة الإسلامية الحضارة التي ولدت وسط البدو وحملها رجال الفطرة والصحراء، هذه القوة جديرة بأن تشيد لنا حضارتنا المنشودة.²

أما التعايش فيطرح مالك هذه الفكرة ضمن الإطار الثقافي فيصطلح عليها التعايش الثقافي لا التعايش الديني، لأن الدين ثابت ولا يمكن تقديم التنازلات عليه، وإنما يكون التعايش مع الآخر على المستوى الثقافي لا غير، لأن الضرورة الحضارية تستدعي ذلك، وهذا السلام العالمي الذي تبحث عنه جميع الدول والمجتمعات يرى مالك بن نبي أن الحضارة الإسلامية هي القادرة على توفيره، لأنها قد قامت به في الماضي فعلاً، عندما كانت تهدي بإشعاعها في مراكزها بالقاهرة وبغداد وقرطبة موكب التقدم الروحي والعقلي للإنسانية، وهي بالتالي قادرة وجديرة أن تقوم بدورها بصفته ثقافة كبرى في العالم، فإذا أدرك المثقف العربي المسلم مشكلة الثقافة فسوف يتمكن من إدراك دوره المنوط به في حضارة القرن العشرين³ وبهذه الأفكار الجليلة يختم مالك بن نبي كتابه مشكلة الثقافة.

ج-التوجيه الجمالي: إن القارئ المتابع لأفكار مالك يرى حرصه الشديد واهتمامه بالدوقيات والمسائل الجمالية، ولطالما شدني إعجابه الكبير في مذكراته "شاهد على القرن" بالتفاصيل الفنية والذوق الجميل

1-مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص63.

2-مالك بن نبي، شروط النهضة، ص90.

3-مالك بن نبي، مشكلة الثقافة ص140.

الذي كانت تتمتع به زوجته وهو يراقبها أثناء ترتيبها لبيتها، فهو إنسان مرهف الحس استشف من تعاليم الإسلام الراقية تلك المسحة الجمالية التي أضفها ديننا على تفاصيل تشريعاته، ولهذا جعل مالك الجمال من فصول الثقافة، وخصه هو كذلك حين وجه الثقافة توجها يراه مناسبا لتحقيق الحضارة على أكمل وجه، فالثقافة عنده كما تتحدد بعناصرها المستمدة من الروح الأخلاقية فإنها تتحدد كذلك بالجمال، وإذا كانت الثقافة قبل كل شيء محيطا فمن الواضح أن العنصر الجمالي يؤدي فيها دورا رئيسيا، إذ أن المقدرة الخلاقة مرتبطة دائما بالانفعال الجمالي لأن القيمة الجمالية إذا ما تم اعتمادها من منظور تربوي فإنها تسهم في خلق نموذج إنشائي متميز يهب الحياة نسقا معيناً في التاريخ بفضل ما وهب من ذوق جمالي¹.

د- التوجيه العملي: وهو ما أسماه بالمنطق العملي الذي يعني به كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه، حتى لا نستسهل أو نستصعب شيئا بغير مقياس يستمد معاييره من الوسط الاجتماعي، واستخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة، واقتراحه هذا جاء انطلاقا من رؤيته لانعدام العقل التطبيقي تقريبا في بلادنا، وشيوع اللافاعلية فيها، لأن المجتمع الإسلامي لا يزال يتكلم فقط طبقا لمبادئ القرآن ولم يبلغ بعد درجة العيش بمبادئه لأن المنطق العملي غائب بعض الشيء عن العقلية العربية المسلمة، وهذا هو سبب العقم الاجتماعي لأن المسلمين حاملون ينقصهم المنطق العملي²، ولهذا يتعين علينا أن ندخل في مفهوم الثقافة زيادة على المعطى الأخلاقي والجمالي مفهوم المنطق العملي، فهذا المفهوم يجد تبريره بصورة ملموسة باعتباره المنهج الذي ينظم العمل بشكل منمّ لمحصله ليشمل جميع أشكال النشاط³، وبالتالي إذا اقتنع العقل المنتج بهذا المنطق العملي زادت فاعليته وإنتاجه فخطى خطوات أسرع نحو التقدم.

2-2-2 عامل التراب :

أما العنصر الثاني من عناصر المعادلة الحضارية فهو التراب، وقد استخدمها بن نبي قصدا كي لا يستعمل لفظ المادة لما له من معان فلسفية مختلفة فقد تكون المادة مقابل الروح وهو مالا يريده، أما مصطلح التراب فلا أبعاد فلسفية فيه، ومالك إذ يحدثنا عن هذا العنصر فهو لا يبحث في خصائصه وطبيعته، وإنما يتناوله من منظور اجتماعي، ويحدث عنه من منطلق قيمته الاجتماعية التي يمنحها له مالكوه، فحينما تكون الأمة مرتفعة وحضارتها متقدمة يكون للتراب قيمة مرتفعة، أما إن هي تراجعت فسوف تبخس قيمته⁴، وهذا الأمر واقع ومعروف، واعتبره من لوازم هذه المعادلة لأنه الجسم لسائر

1 - المصدر السابق، ص 109.

2 - مالك بن نبي، شروط النهضة، 96.

3 - مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ص 88.

4 - سليمان الخطيب، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، ص 82.

الوقائع الاجتماعية التي يصنعها الإنسان، وهو الذي يدخلها حيز الملموس بمنحها الركيزة الطبيعية الفيزيائية والاقتصادية¹، فالتراب هو المجال الحيوي لتشييد الحضارة ولا بد من تعلم كيفية التعامل مع هذا المجال وتكييفه واستغلاله حسب أهدافنا وحاجتنا، وهو مورد الثروة الحضارية وطرق استغلاله هي الحاسم في بناء الحضارة وهو لا يقاس بالمساحة وإنما بكيفية الاستغلال²، وقد اجتهد مالك بن نبي في بحث قضية استغلال التراب الاستغلال الأمثل في بلده الجزائر من الناحية الزراعية تبعا للتغيرات المناخية بالمنطقة، كما تعرض لمشكلة التصحر وتقدم الصحراء نحو الشمال بسبب الإقلال من التشجير وهذا له تأثير سلبي على الزراعة، وبالتالي على الحياة الاقتصادية، كما ينوه إلى الخطر الذي ستجره هذه القضية على الدورة الحضارية، فيوجه حله المقترح لعامة الناس بتكثير عمليات التشجير، ولعلماء الأمة باستغلال قوى الذرة الكامنة وإنشاء الأمطار الصناعية فتنفع البشرية من تطور هذه العلوم بدلا من تشكيلها خطرا عليهم فقط واستعمالها في الحروب لا غير، فلن نستطيع إنقاذ ذريتنا من الأجيال القادمة إلا بالعمل الشاق الذي يقوم به جيلنا الحاضر³، وهذا من المبادئ الحضارية الإسلامية التي ينبغي أن تمتد طولا على مدى الرقعة الجغرافية فيتكافل أبنائها في تشييدها وإخضاع الوسائل اللازمة لسلطانها، وتمتد عمقا ليكفل الجيل السابق الأجيال اللاحقة فيقنن استخدامه لتلك الموارد ويمهد الطريق للحضارة كي تدوم ما شاء الله لها أن تدوم.

2-2-3 عامل الوقت:

هذا هو العنصر الثالث من عناصر المعادلة الحضارية التي وضعها بن نبي، وهو يأسف لحال العالم الإسلامي الذي لم يعرف للزمن معنى غير معنى "الوقت" الوقت الذي ينتهي إلى عدم، ولم ندرك بعد معنى الزمن ولا تجزئته الفنية ولا قيمة أجزائه من ساعة ودقيقة وثانية، ولسنا نعرف فكرة الزمن التي تتصل اتصالا وثيقا بالتاريخ، وبتحديد فكرة الزمن، يتحدد معنى التأثير والإنتاجية وهو معنى الحياة الحضارة الذي ينقصنا، هذا المعنى الذي لم نكسبه بعد، هو مفهوم الزمن الداخل في تكوين الفكرة والنشاط، في تكوين المعاني والأشياء، ولا يوجد غير التربية السليمة كما يقترح بن نبي سبيلا لتعليم الشعب المسلم قيمة الوقت، وهذا من صميم التعاليم القرآنية إذ أقسم ربنا عز وجل مرات عديدة في محكم تنزيله بالأوقات: "وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ" (العصر: 1-2)، كما بين رسولنا الكريم في عدة أحاديث أهمية الزمن بالنسبة للمسلم، وهذا أمر لا يختلف فيه اثنان، لكن التطبيق العملي له هو ما ينقصنا نحن المسلمين، ولهذا يقترح مالك بن نبي أن يخصص كل فرد من أفراد المجتمع رجلا كان أو امرأة أو طفلا نصف ساعة لعمل أمر معين فما إن تنقض السنة، فستكون له حصيلة هائلة من ساعات العمل قدمها لمصلحة

1- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ص 55.

2- ابرير الطاهر، الحضارة في فكر مالك بن نبي، <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/147593>، ص 116.

3- انظر شروط النهضة، ص 130-136.

الحياة الإسلامية في جميع أشكالها، ويبرهن على نجاح هذا المقترح بنجاح " التجنيد الوقي"-إن صح التعبير- الذي فرضته ألمانيا على جميع مواطنيها بعد نهاية الحرب العالمية الثانية التي تركت البلاد قاعاً صفصفاً، ليس فيها من مقومات غير عناصر الحضارة الثلاث وشعب آمن بقدرته على التغيير، وفرضت الحكومة على شعبها أن يعمل ساعتين إضافيتين مجانيتين يومياً لصالح الشأن العام، فكانت النتيجة أن تخلصت البلاد من ويلات الحرب في غضون عقد واحد¹، وتقدمت بخطوات هائلة نحو الأمام، وأرست ركائز حضارتها التي بلغ صدها أرجاء العالم، والتي انطلقت أساساً من إنسان تراب ووقت عرف أهله قيمته، فإن كنا نملك هذه العناصر وزيادة عليها فكرة دينية تضع أمامنا البوصلة وترسم لنا معالم الطريق، فسنستطيع حتماً تحقيق الأفضل.

4-2-2- العامل المركب للحضارة "الفكرة الدينية"

بعد أن تعرضنا للعناصر الثلاث المكونة للمعادلة الحضارية لا بد أن تعرض للعامل المفاعل لهذه العناصر الثلاث والذي بسببه تتكون هذه الحضارة، فلا يعقل أن تتكون حضارة ما بمجرد وجود إنسان وتراب ووقت، لأن هذه العناصر موجودة لا محالة، ولكن الحضارة تحضر وتغيب والسبب في ذلك حضور الفكرة الدينية الموجهة أو غيابها، ولكل معادلة كيميائية على هذا النسق عامل تفاعل،

فلا يعقل أن ينتج لنا ذرات ماء بمجرد التقاء أوكسجين وهيدروجين، ولكن يحدث ذلك ضمن ظروف معينة، ومن وجهة نظر تاريخية فإن جميع الحضارات قد تشكلت في مهد فكرة دينية، فلم يخل عمران من آثار الحضارات القديمة من مكان للعبادة، سواء كان مسجداً أو كنيسة أو معابد لديانات أرضية، فالانطلاقة الروحية هي النقطة المشتركة بينها جميعاً، حتى تلك الحضارات التي نشأت حديثاً مدعية اللادينية، لأن الفكرة الدينية تتدخل إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق بديلاتها اللادينية²،

ويعتبر مالك بن نبي العلاقة الروحية بين الله والإنسان هي التي تولد العلاقة الاجتماعية التي تربط الأفراد داخل مجتمع واحد³، ويرجع بن نبي الحضارة إلى العلاقة بين الإنسان والفكرة التي يعتقدها، والاطراد في هذه العلاقة هو الذي يرسم لنا منحى الحضارة، فتسمو الحضارة ويتصاعد خطها البياني إن قويت هذه الفكرة في نفس صاحبها وتأفل ويتنازل خطها البياني إن وهنت هذه الفكرة في نفسه، فالفكرة الدينية هي التي تغذي الروح فتنشأ أولى أطوار الحضارة وهي مرحلة "الروح" وغياها يغيب أثر الروح على الفرد فتسمو النزعة الغرائزية وهنا تصل الحضارة طورها الأخير طور " الغريزة"⁴، فدورة الحضارة إذن تتم على هذا المنوال، إذ تبدأ حينما تدخل التاريخ فكرة دينية معينة، وتنتهي حينما تفقد الروح سيطرتها على

1- انظر شروط النهضة، ص 139-142.

2- مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ص 60.

3- عطار إكرام، المسألة العقدية والأخلاقية في المشروع الإصلاحي عند مالك بن نبي، ص 435.

4- مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 68.

الغرائز المكبوتة؛ وإذا كانت الفكرة الدينية هي الدافع والمحرك لقيام الحضارة، فلها قيمة أخرى فهي السبب الذي يمكن الحضارة من الاستمرار، لأن المجتمع لا يمكنه مواجهة الصعوبات التي تجابهها ما لم يكن على بصيرة من سبب وجوده، وهذه البصيرة تسطرها الفكرة الدينية لا غير، لأنها تخلق في قلوب المجتمع الوعي بهدف معين تصبح معه الحياة ذات هدف ومعنى، وهي حينما تمكن لهذا الهدف من جيل إلى جيل فإنها تكون قد مكنت لبقاء مجتمع ودوامه، وذلك بتثبّتها وضمّانها لبقاء الحضارة¹، والفكرة الدينية الإسلامية هي التي تحمل لصاحبها كل تلك الحلول التي ستواجهه فردا كان أو مجتمعا، وتوضح له الغاية من الحياة في أوضح الصور وأجلاها، وتبين له الغاية من وجوده والحكمة من تحضره فيسير على بينة من أمره.

3. عوامل قيام الحضارة عند عبد المجيد النجار

1.3. مفهوم الحضارة عند عبد المجيد النجار:

تناول المفكر التونسي عبد المجيد النجار قضية الحضارة بالدرس والتمحيص، شأنه شأن المفكر الجزائري مالك بن نبي، فكان منه أن قدم مشروعه في الشهود الحضاري، هو كتاب من ثلاثة أجزاء تناول فيها قضية التحضر، فكان الكتاب الأول بعنوان "فقه التحضر الإسلامي" تناول في فصله التمهيدي عوامل التحضر العامة التي تشترك فيها جميع الحضارة، ثم انتقل إلى فقه التحضر الإسلامي وتناول فيه الأبعاد الثلاث التي يراها للحضارة الإسلامية وهي الخلافة، الشهودية، والارتفاق الكوني؛ أما الكتاب الثاني من هذا المشروع فحمل عنوان "عوامل التحضر الإسلامي" وقسمها لخمسة عوامل، و"مشاريع الإشهاد الحضاري" كان عنوان الكتاب الأخير من السلسلة وتناول فيه بالدراسة والنقد بعض المشاريع النهضوية التي قامت بها بعض الحركات الإصلاحية خلال القرنين الأخيرين.

وعلى خلاف بن نبي لم يستعمل النجار لفظ الحضارة بكثرة، وإنما استعاض عنها في غالب الأحيان بكلمة "التحضر" لكن يقصد بها نفس مدلول الحضارة، ويشير إلى أن مفهوم "الحضارة" من المفاهيم المركبة مؤكدا أن مفهومها يخضع لعنصرين أساسيين: مفهومها اللغوي والاصطلاحي، والمقياس القيمي الذي يحكمها²، ويفهم من هذا أن الاختلاف الحاصل بين المفكرين في مفهوم الحضارة راجع إلى طبيعة المصطلح في حد ذاته، وهذا الذي دفع النجار إلى تجاوز المفاهيم الكثيرة التي تعطى للحضارة كالمدينة حتى لا يقع في استيراد المفاهيم وما تجلبه من أيديولوجيات، بل اكتفى بمجرد الإشارة لما يعترى مفهوم الحضارة من الالتباس، حتى لا تنصرف جهوده عن مسارها في عملية البناء المعرفي المنبثقة من مرجعيته الإسلامية³، وعليه سنتناول مفهومه للحضارة من خلال العنصرين الذين ذكرهما:

1- المصدر السابق، ص 70-72.

2- عبد المجيد النجار، الشهود الحضاري - فقه التحضر -، ص 20.

3- هجرة شلبي، فلسفة التحضر عند عبد المجيد النجار، ص 33.

أ- المدلول اللغوي والاصطلاحي: فالحضارة في مفهومها اللغوي كما هو مجمع عليه بين قواميس اللغة، هي من الحضر وهو الإقامة في المدن والقرى بدل الأرياف، وإنما سميت الإقامة في المدينة حضارة لأن فيها يكون الحضور مستمرا، في مقابل حياة البادية التي طبيعتها التنقل والارتحال، ومن هذا المعنى اللغوي نشأ المدلول الاصطلاحي، ولهذا فمفهوم الحضارة عند النجار يتضمن معاني الاستقرار بالإضافة إلى الثمار المعنوية والمادية كالمنشآت وسائر المنتجات التي يصنعها الإنسان في ظل هذا الاستقرار، وبالتالي يعرفها على أنها: "الحياة المستقرة للإنسان وما تثمره من منجزات مادية ومعنوية لتحسين تلك الحياة وتأكيداتها وتنميتها"¹، وهو بهذا التعريف لم يتعد كثيرا عن تعريف بن خلدون الذي يراها بأنها الكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه- كما أسلفنا- للحضارة لكنه أضاف إليه المنتجات المعنوية كذلك، وانطلاقا من تبنيه لهذا المعنى يعرف التحضر على أنه: "وضع من الاجتماع الإنساني، ذو مواصفات خاصة في علاقة أفراد المجتمع بالأرض التي يعيشون عليها، وعلاقة هؤلاء الأفراد ببعضهم، بحيث تثمر هذه العلاقات كلها نمطا من الحياة تنمو فيه المكتسبات المادية والمعنوية، متلونة بألوان مختلفة من حضارة إلى أخرى"²

ب- المقياس القيمي للتحضر: ويعني به المقياس الذي يحكم على هذه الحياة المستقرة وما أثمرته من منتجات مادية بالصلاح أو الفساد، لأنه في الغالب يتبادر للذهن أن الحضارة أمر إيجابي لا تشوبه شائبة، وأن الحضارة كيفما كانت فلا تجلب إلا الخير للإنسان، لكن في الواقع الأمر ليس كذلك، وهذه لفظة ذكية من مفكرنا نهينا لها في خضم الحديث عن الحضارة والمشاعر متحمسة فقط للعيش في كنفها، أما الحقيقة التي يريد أن ينبه لها النجار أن التحضر وصف موضوعي وليس قيمي، أي أنه يمكن أن يكون خيرا كما يمكن أن يكون شرا، وليست المنجزات المادية والتي تدل على خيرية هذا التحضر، ويضرب لنا مثلا بالأهرامات المصرية أعظم المنجزات المادية للحضارات الغابرة، فهل عظمة هذا العمران تدلنا على عظمة الحضارة الفرعونية؟ وقد شيدت هذه الأهرامات بأيدي العبيد الذين سحق منهم الآلاف تحت صخورها، إذن فالمعاني القيمية الأخلاقية هي التي تقيم لنا مدى صلاح الحضارة من عدمه، وتبقى قيمته مستمدة من تحقيقه للأمن والخير والتعاون، لا من مجرد ترقى منجزاته المادية، وهذا المفهوم القيمي بدأ يستقر عند نقاد الحضارة الغربية أنفسهم، حيث وجد العنصر الأخلاقي هو المقياس الحقيقي للتحضر، فلرب مجتمع يعيش حياة تتوفر على الأمن والاستقرار وعيش حد الكفاف لم يبلغ الترف، لأكثر تحضرا من مجتمع آخر بلغ من الأبهة المادية مبلغا عظيما لكن يسوده الظلم والاستبداد وعدم الأمن والاستقرار³، فالمنجزات المادية لا تحكم على قيمة التحضر، وإنما الأخلاق السائدة في تلك الحضارة هي المقياس الصحيح عليها.

1- عبد المجيد النجار، فقه التحضر، ص 21.

2- عبد المجيد النجار، فقه التحضر، ص 19.

3- عبد المجيد النجار، فقه التحضر، ص 25-26.

2-3-عوامل قيام الحضارة عند النجار:

إنّ وضع الحضار على اختلاف ألوانه يخضع لسنن عامة ومحكوم بعوامل سواء في حدوثه أساسا أو في نموه وتطوره، أو في استمراره وبقاءه، وهذه العوامل قد تختلف في المحتوى التفصيلي من حضارة لأخرى، ولكنها تلتقي في عوامل كبرى لا يحدث تحضر إلا من خلالها¹، وطبقا لهذا الأمر قسم النجار عوامل الحضار إلى قسمين، عوامل عامة تشترك فيها جميع الحضارات، وعوامل خاصة بالحضارة الإسلامية، وتحت كل منها وضع ثلاث عوامل رآها العناصر الرئيسية لعملية الحضار.

2-3-1العوامل العامة للحضار: وهذه العوامل الثلاثة التي صنفها النجار ضمن العوامل العامة

تصدق على ظاهرة الحضار بصفة مطلقة، وتشترك فيها جميع الحضارات ولا بد من توفرها لقيام أي حضارة مهما كان مبدؤها ومبتغاها، وهذه العوامل هي:

أ-الفكرة: باعتبار الفكرة هي الأساس في أي سلوك بشري - خارج الغرائز - فإنها كذلك الأساس في الفعل الحضري، والعنصر الرئيس فيه، فكل إنجاز في الواقع "كعملية الحضار" إنما هو وليد تصور في العقل يترجم إلى فعل، وهذا التصور هو الفكرة، ويقصد النجار بها: "الرؤية الشاملة في تفسير الوجود وفي تقييم حياة الإنسان، انتهاء بذلك إلى تحديد غاية لهذه الحياة يسعى المجتمع إلى تحقيقها"²، كما يؤكد أن قوة الفكرة وضعفها وحقيقتها أو بطلانها فهي تمثل العامل الأساس في أي حضارة.

ويعرفها في مكان آخر بقوله: "هي ذلك التصور الذي يحمله الإنسان عن حقيقة الوجود وعن غاية الحياة، بالغة في الفعل الحضري ذروته حينما تكون فكرة دينية الصبغة"³، فالفكرة عند النجار نوعان فكرة دينية هي الأقوى في الدفع الحضري والاستمرار فيها، وفكرة إنسانية ناشئة عن الخيال الأسطوري والتأمل الفلسفي، والفكرة كما أنها عامل إنشاء للحضارة، فهي كذلك عامل صياغة لهذا البناء الحضري في كل جوانبه، بحيث تضل بعد الإنشاء الموجه النظري تكيف كل التدايعات المستجدة مادية كانت أو معنوية⁴، وانطلاقا من هذه الفكرة يتكون الفقه الخاص بكل حضارة مشكلا لمنطقها الداخلي الذي تقام عليه بنيتها، وتنحكم به سيرورتها، انفعالا مع الفكرة التي نشأت منها، لهذا يختلف المنطق الداخلي من حضارة لأخرى بحكم اختلاف الأفكار المنشئة لهذه الحضارة، وبناء على ذلك فإن أية حضارة يكون تطورها في نطاق نسقها على قدر وفائها لمنطقها

1 - عبد المجيد النجار، عوامل الشهود الحضري، ص5.

2 - عبد المجيد النجار، فقه الحضار، ص27.

3 - عبد المجيد النجار، الاستخلاف في فقه الحضار، ص89.

4 - عبد المجيد النجار، فقه الحضار، ص27.

الداخلي، فإذا داخل ذلك المنطق اضطراب فقد أذن نسقها بالتداعي، و لربما آل إلى الزوال، وكذلك فهم أي حضارة والعمل على توجيهها لا يتم إلا من خلال فقه منطقيها الداخلي¹.
ولكن وجود الفكرة وحدها غير كاف لإنشاء حضارة، لأن الأمر بحسب النجار يرجع إلى شروط ذاتية وموضوعية مرتبطة بالفكرة، والشرط الأول هو في كيفية تحمل هذه الفكرة وتأثيرها في أنفس معتنقيها، فإن كان تحملها يجري على عمق في النفوس بحيث يأخذ بمجامعها ويحشد قواها، أفضى ذلك إلى الدفع الحضاري، وإن كان ذلك التحمل يجري على حال لا يتجاوز مجرد خواطر وأفكار بالذهن، ولا تنفذ لتأخذ بمجامع القلوب، فإنها حينئذ تتعطل دافعيها للنفوس، فلا يكون لها أثر في الدفع الحضاري²، والشرط الثاني هو مدى صحة هذه الفكرة وحقيقتها، لأن النجار يستصعب حدوث الفعل التحضري إن خلت الفكرة من الحق، فحتى لو كانت الفكرة ضالة عقدياً، فإنها لا بد أن تكون صائبة علمياً، مدركة للسنن الكونية في استثمار البيئة والتقدم المادي، فإنها إن خلت من الصوابين فيستحيل أن تنشأ منها حضارة³، فلا يعقل أن تنشئ فكرة صبيانية غير مدركة لسر الوجود ولا لسنن الكون حضارة فهذا ضرب من جنون.

ب- البيئة الطبيعية : البيئة لغة من باء يَبُوء أي رجع، وبيئة القوم هي موضع نزولهم، يقول تعالى: "وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْآيَمْنَ" (الحشر:9)، والدار هنا يعني المدينة المنورة، فالبيئة إذن تطلق على المنزل الكبير للإنسان الذي يشمل كل ماله علاقة بنشاطه، فهي مهد وجوده، ومرتفع حياته في مطالبه المادية وكثير من مطالبه الروحية، وحامل تاريخه منذ نشأته وعلى مر الأجيال، ووعاء مستقبله إلى نهاية وجوده، وهي المسرح الذي يؤدي ما كلف به من مهمة الخلافة التي هي غاية وجوده⁴، فهي مسرح التحضر وموطن الاستقرار، ومرافقها هي الموارد المادية لهذا التحضر، ومناخها الجغرافي حاكم على نشاط الإنسان انبساطاً وانقباضاً، هذا بالنسبة لمفهوم البيئة الطبيعية عند النجار، أما كونها عاملاً في العملية التحضرية فلا يتم بحسبه إلا إذا كانت وسطاً بين العطاء اليسير والشح الكثير، فتكون مستثيرة للجهد البشري مستجيبة له، فلا تعطيه بلا مقابل من يسرها، ولا تثبط عزمه من قساوتها، فهو يرى أن البيئة إذا كانت على وضع من اللين المفرط فإنها تدعوه للدعة والكسل، أما إن كانت على وضع من القسوة المفرطة فإنها تكسر جهود الإنسان دون أي نتيجة⁵، فلا

1- عبد المجيد النجار، الاستخلاف في فقه التحضر، ص 90.

2- عبد المجيد النجار، دور الإصلاح العقدي في النهضة، ص 1.

3- عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي، على هامش ص 29.

4- عبد المجيد النجار، قضايا البيئة من منظور إسلامي، ص 7.

5- عبد المجيد النجار، فقه التحضر، ص 31.

بد أن يجد الإنسان من أسباب التحدي في بيئته ما يدفعه للعمل والاستثمار فيها، وهذا من التعمير الحضاري.

ج-عامل الدافع الحضاري: يبقى مجرد وجود فكرة حضارية مهما بلغت في صلاحها وقوتها، وبيئة طبيعية وسط بين اللين والقسوة لوحدهما غير كاف لإنتاج الحضارة، وهنا يأتي دور العامل المفعّل لهذين العنصرين، وهو "الدافع الحضاري" العامل المحرك للفكرة والبيئة معا، فهو "عامل يتكون في النفوس تكونا جماعيا، تكون له قوة التوحيد كما تكون له قوة استنفار تهب به المجموعة في خطّ مشترك للتعمير والتنمية، استثمارا للبيئة الطبيعية، وترقية للكيان الإنساني الفردي والجماعي"¹، وهذا العامل تكلم فيه العديد من المفكرين وكل وضع له اسما معينا كما أسماه بن نبي "تسجيل الفكرة في الأنفس"، فقد اتفقوا على أنّ الفكرة إذا لم تتحول لدافع قوي فلن يكون له أثر ملموس وستبقى حبيسة الأذهان، أما إذا سرت فيها الروح وأيقنتها العقول وتلبست بها شآبيب النفس فستترجم حتما لفعل، يقول النجار: "إن الفكرة إن حلت في النفس حلولا إيمانيا، يكون حلولها الإيماني ذلك هو الدافع النفسي للعمل الحضاري، والحلول الإيماني للفكرة هو ذلك الوضع الذي تكتسبه النفس بالغاً فيها من العمق لدرجة تصبح فيها مسيطرة على كل كيان الإنسان فتوجه قدراته توجيهاً موحداً نحو العمل الإنجازي لتطبيقها في الواقع، وكذلك البيئة الطبيعية حينما تحل في النفس محل الأداة المسخرة من أجل تنفيذ الفكرة في غير ما استنقص أو استهوال، فإنّها تكون عامل جذب وتغيب لاستثمارها والتعمير فيها"²، وبالتالي فالنجار يعتبر أن المفاعل الضروري لنجاح المعادلة الحضارية هو عنصر "الدافع الحضاري" الذي يؤدي وجوده إلى وجود الحضارة والتي تقوى كذلك بقوته، وتضعف بضعفه، أو تتلاشى بانعدامه.

وهذه العناصر الثلاث: الفكرة والبيئة الطبيعية والدافع الحضاري، هي العوامل الأساسية الكبرى والضرورية لنشأة أي فعل حضري، بحيث يحول انعدام أحدهم من وجود الحضارة، و أي خلل يصيب عنصرا بينهم يؤثر بطريقة مباشرة على الحضارة، ويمكننا تلخيص المعادلة الحضارية العامة عند عبد المجيد النجار كالتالي:

الحضارة = الفكرة + البيئة + الدافع الحضاري.

3-3-العوامل الخاصة بالتحضر الإسلامي:

قد أوردنا بأن النجار يرى قيام كل حضارة مبني في الأساس على فكرة معينة، تكون هي المنشئ في البداية ثم الموجه فيما بعد، وأن هذه الفكرة هي التي تكون المنطق الداخلي الذي يشكل الفقه الخاص بتلك الحضارة ويختلف من حضارة لأخرى، وبالتالي يضيف مفكرنا لهذه العوامل الحضارية الثلاث

1 -المصدر السابق، ص32.

2 -المصدر نفسه، ص33.

عوامل أخرى بحكم أن الأولى عامة تشترط لقيام أي حضارة مهما كانت، وأما لتحقيق حضارة إسلامية قائمة على فكرة التوحيد كعقيدة منسثة لها، فلا بد من توفر عوامل ثلاثة أخرى، وهي: الخلافة لله، الشهادة على الناس، وارتفاق الكون؛ وقد اختار هذه العوامل بالتحديد كون معرفة خصائص أي حضارة ومميزاتها يقوم على معرفة موقفها من هذه الأمور الثلاثة، موقفها من ذات الإنسان وترقيتها، وموقفها من بني البشر والأمم والشعوب الأخرى، وكذا موقفها ونظرتها للكون وتعاملها معه، وعلى هذه الأمور يكمن اختلاف الرؤى الحضارية عبر الزمان والمكان.

3-3-1- الخلافة لله:

يقول تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (البقرة:30) وجاء في تفسير هذه الآية عند سيد قطب أن الله خلق الإنسان ليكون مستخلفاً في الأرض مالكا لما فيها، فاعلا مؤثرا فيها، إنه الكائن الأعلى في هذا الملك العريض، والسيد الأول في هذا الميراث الواسع، ودوره في الأرض هو الدور الأول، فهو سيد الأرض وسيد الآلة وليس عبدا للآلة كما في الحضارة المادية، وكل قيمة من القيم المادية لا يجوز أن تطغى على قيمة الإنسان، التي شاء الله أن يسلمه زمام الأرض مسخرا له كل الطاقات المكنونة فيها والقوى الخفية ليحقق المشيئة الإلهية¹، أما عن معنى الخلافة هذه المهمة الوجودية الذي سعي الإنسان باسمها دلالة على أهميتها وأولويتها الكبرى، يقول النجار: "تعني الخلافة عن الله تعالى² تنفيذ مراده في الأرض، وإجراء أحكامه فيها، وهذا معناه أن يكون الإنسان سلطانا في الكون بغاية تطبيق المهمة التي كلفه بها المستخلف-الله- ائتمارا بما أمر وانتهاء عما نهى"³، وهذا المعنى يعطي للتحضر الإسلامي بعدا خاصا به يميزه عن سائر أنماط التحضر الأخرى، إذ هو يدرجه جملة في إطار العبودية لله، فهو إذن في كل عناصره ومظاهره مسيرة إنسانية نحو الله تعالى، وتبعاً لذلك فهو يقاس في ارتقاءه وهبوطه بمقياس الاقتراب من الله والبعد عنه، وهذا البعد العقدي الخلافي في التحضر الإسلامي من شأنه أن يجعل هذا التحضر يجري على قاعدة الاستخلاف في جميع تحقيقاته، فتكون قاعدة الخلافة لله من عناصر فقه التحضر الإسلامي⁴، ولهذا العنصر نتائج يرجوها النجار على ذات الإنسان تطبع ترقيه الفردي والجماعي ومنهجه في الحياة محكومة بقاعدة الخلافة لله.

1- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص52.

2- الاستخلاف في هذا المقام إنما هو استخلاف تشريف، وليس استخلاف حاجة كالغيبة، فذلك منتف في حق الله تعالى، فقه التحضر، ص52.

3- عبد المجيد النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص62.

4- عبد المجيد النجار، فقه التحضر، ص52-53.

3-3-2-الشيوعية على الناس:

الشهود يتضمن معاني الحضور والعلم ولهذا استخدمها النجار للتعبير عن منهج وسطي متكامل في التعامل الحضاري للمسلمين مع غيرهم، بأن نكون حاضرين في المشهد الحضاري، ولا تتحقق هذه الشهادة إلا بالعلم، لأن التحضر الإسلامي يشهد على الناس بشهادة العلم بحقائق الدين والكون والناس، ثم شهادة على الناس بتبليغ تلك الحقائق، تبليغ إصلاح وخير للناس، وقد رسمت الحضارة الإسلامية في نشأتها الأولى أروع الصور في الشهادة على الأمم المعاصرة واللاحقة شهادة علم؛ كما رسمت صور للعدل منقطعة النظير، فقد بني التحضر الإسلامي على شهادة العدل كما بني على شهادة العلم، عدلاً حكماً وصفيًا على أحوال الناس، وحكماً تنفيذياً في التعامل بالقسط، وفي نصرة المظلومين المسلوبة حقوقهم.

وقد أورد النجار في معاني الشيوعية على الناس في لقاء مصور: "العلم الكوني، الإنساني، والديني أول عناصر الشهادة على الناس، وتبليغ هذا العلم للبشرية من مقتضياتها، لأن الغير إن هم سبقونا في العلوم الدقيقة، فلنا نحن هذه المبادئ الاجتماعية العلمية، وكذا البيئية، لأن البشرية اليوم تعاني من مأزق في الأسرة والبيئة والحالة الروحية، وهذه المقدرات التي يتوفر عليها المسلمون يجب تبليغها لتحقيق معنى الشهادة على الناس"¹، وبهذا تميز النجار بتنظيره للحضارة الإسلامية بنظرة ثاقبة غاية في الدقة تنم عن عقل محلل للأبعاد الحضارية التي لا بد أن يشملها التحضر الإسلامي.

3-3-3-ارتفاع الكون:

وقد اختار النجار لفظ الارتفاع للتعبير عن مراده في تقريب وتوضيح التصور الإسلامي الصحيح حول الكون أو البيئة استناداً إلى المعنى اللغوي لمادة الارتفاع بحيث يجمع معنى النفع والرفق في آن واحد، وهذين المعنيين "الرفق" و"الانتفاع" هما اللذان يحكمان علاقة الإنسان بالكون، وإليهما تتراجع كثير من القواعد في فقه التحضر الإسلامي.

مفهوم الرفق بالكون عند النجار هو التعامل مع الكون تعاملًا صحيحًا يقوم على الحفاظ على مقدراته ونظمه و موجوداته والحيلولة دون إتلافه، وأن تكون مباشرته لهذه البيئة قائمة على الاحترام والإكرام وذلك بالحفاظ عليها في تراكيبها ونظمها التي أحكمت لنفع الإنسان وصيانتها عن أي تعرض للتحريف أو الإتلاف² وكذلك بالاستهلاك العقلاني، وبهذا يحمل الرفق بالكون دلالة المعاملة الحضارية الإنسانية الراقية، إزاء مقدرات الكون باستغلالها والاستثمار فيها لكن بشكل معقول يحقق الغاية المنشودة لتحقيق التحضر دون إفراط ولا تفريط.

1- عبد المجيد النجار، الشيوعية على الناس، لقاء صحفي مصور يستضيفه فيه حذيفة عكاش، على قناة "رؤية للفكر" على منصة يوتيوب.

2- هجيرة شلي، فلسفة التحضر عند عبد المجيد النجار، ص 116.

ولا يتحقق هذا المدلول إلا كنتيجة للنسق العقائدي لصلة الإنسان بالكون، فمن شأن الإيمان بوحدة الإنسان والكون أن ينشئ في النفس الشعور بالقرابة مع الكون والوفاق معه، وهو المناخ الضروري لانطلاق القدرات الإنسانية وإقبالها على الكون لتبشره بالفعل والاستثمار.

أما الانتفاع فيعتبره النجار المعنى الثاني من معاني الارتفاق بالكون، بحيث تكون العقيدة في الكون عند الإنسان المسلم إذا ما آمن بها إيمانا حقيقيا قوة دافعة نحو الانتفاع، وهذا النسق في الدافعية إلى الانتفاع بالكون هو الذي أحدث في نفوس المسلمين الأوائل ثورة في علاقتهم بالكون فإذا هم ينتقلون من البداوة إلى الحضارة الفاتحة للأمصاير في ظرف زمني وجيز، والمقصود عنده من عبارة ارتفاق الانتفاع هو السعي الإنساني الإرادي المكتسب، الذي يبدله في الانتفاع بالكون فيما فوق السعي الفطري لحفظ الحياة، وذلك لإقامة التحضر والمضي فيه درجات تطول أو تقصر، ولكنها تتجاوز الاستجابة الفطرية لسد ضرورات البقاء¹، أي أن الارتفاق الذي يقصده هو الانتفاع والاستفادة من الكون استفادة تحقق البناء الحضاري وليس مجرد سدّ متطلبات الحياة من غذاء وماء ومأوى، وهذا الانتفاع لا يكون إلا بعد تحقق تلك الصورة العقدية الإسلامية في الأنفس والعقول والتي تشكل المحرك الدافع لهذا الانتفاع المرجو لتدوير حركة الإنتاج والإعمار في الأرض.

وقد ضمّن النجار هذه العوامل الثلاث: الخلافة لله، الشهودية على الناس وارتفاق الكون، عناصر أخرى بتفصيل دقيق، ولكنه لم يكتف بهذه العوامل لهيوض الحضارة الإسلامية، وإنما استزاد على ذلك بذكره لشروط أخرى وضعها لتحقيق التحضر الإسلامي، ويكون في حد ذاته خدمة وتقوية لهذه العوامل الثلاث، وتلك العوامل هي مضمون الكتاب الثاني من سلسلة الشهود الحضاري الذي جاء بعنوان "عوامل الشهود الحضاري" وهي تختص فقط بأسباب تخلف التحضر الإسلامي وكيفية تجاوز تلك الأسباب لتحقيق التحضر المنشود، لأنه يرى أنه لن يحصل التحضر بمجرد تفعيل عوامله سابقة الذكر، وإنما لا بد من مداواة الأمراض التي يعاني منها التحضر في الأمة الإسلامية، بمعرفة مكامن هذه الأدواء وتتبعها بالعلاج واحدا واحدا، وحينها تكون لهذه العوامل فعالية وتحقق التقدم المرغوب ماديا ومعنويا؛ لكننا اكتفينا بذكر عوامل التحضر العامة والخاصة حتى نستطيع إجراء المقارنة.

و يمكننا أن نلخصها في المعادلة التالية:

$$\begin{array}{ccccccc} \text{الحضارة} & = & \text{علاقة الإنسان بذاته} & + & \text{علاقته بالناس} & + & \text{علاقته بالكون} \\ \Downarrow & & \Downarrow & & \Downarrow & & \Downarrow \\ \text{حضارة إسلامية} & = & \text{خلافة لله} & + & \text{شهودية على الناس} & + & \text{ارتفاق بالكون} \end{array}$$

1 عبد المجيد النجار، فقه التحضر، ص132.

4- المقارنة بين عوامل قيام الحضارة بين مالك بن نبي وعبد المجيد النجار.

إنّ مفكريننا الجليلين مالك بن نبي وعبد المجيد النجار، لانشغالهما بقضايا الحضارة الإسلامية، وحرصهما الشديد على المساعدة في استرجاع أمجاد الأمة الإسلامية، والسير على خطى الرعيل الأول من المسلمين، وغيرتهما على خيرات المسلمين أن تغتصب، وأسفهما لما صار عليه المسلمين، وتيقنهما من أنّ الحلّ لن يكون إلّا بإتباع البوصلة القرآنية والسير على نور الوحيين، كلّ ذلك وغيره جعلهما يلتقيان في تنظيرهما للحضارة، ووضعهما لعوامل النهوض الحضاري، في نقاط كثيرة، فالمضمون الذي يدعوان إليه متقارب جدا، رغم اختلاف منهجهما وأسلوبهما، واختلاف الاصطلاحات والتسميات التي أورداها، نظرا لاختلاف تكوينهما ومرجعياتهما، ولشخصياتهما بطبيعة الحال، وكذا اختلاف زمانيهما، فمالك عاش وقت الاستعمار العسكري للأراضي الإسلامية، وعانى من وطأة الاحتلال والظلم، وعاش الفقر والتخلف، بينما يعيش النجار في زمن تحررت في الأراضي، لكن لم تنل الأوطان كل حرياتهما، ولا زال الاستعمار متسلطا عليهما ولو لم يكن عسكريا فهناك الثقافي والاقتصادي وغيره، وعانى هو كذلك من ظلم الحكام فعاش في فرنسا فترة طويلة -كما مالك- مغتربا عن دياره.

يتحدث المهندس مالك بن نبي بعقل المفكر المراقب المحلل، المعاش لهما أمتهم من استعمار وتخلف على شتى الميادين، وبلسان العربي المسلم الغيور على دينه و المنفتح على ثقافة الآخر في آن واحد، فهو يتميز بنزعة عالمية إنسانية ذات صبغة إسلامية، كما تتميز تحليلاته بالمنطق العلمي والرياضي، فهو كثيرا ما يسوق الأمثلة المنطقية ليشرح كلامه، ويصوغ حججه تبعا لأدلة علمية، كما أن كتاباته يطغى عليها التحليل النفسي الاجتماعي، لكنها لا تخلو من الأدلة الشرعية؛ بينما يتحدث عبد المجيد النجار بلسان عالم دين متمكن ذي تكوين فلسفي، يسوق أدلته انطلاقا من الوحيين، و بقلب الداعية الحركي المعاش لأبناء جيله، الساعي للتغيير بالعمل في الواقع وليس مجرد التحليل والانتقاد والتنظير، وبحرقه المسلم الغيور على دينه، فالنجار يسعى لتطبيق ما يدعو له من خلال عمله في عدة مجالات كالتربية والتعليم والسياسة، بالإضافة إلى أنّه يهتم بشؤون التاريخ الإسلامي لمعرفة مكامن الخلل ومن ثم تصحيحها، ومعرفة مكامن القوة لتفعيلها.

ولتسهيل المقارنة بين عوامل التحضر عند بن نبي والنجار، سأضعها في الجدول التالي:

المقارنة	مالك بن نبي	عبد المجيد النجار
نقاط الاتفاق	-يعتبر الحضارة دورة مغلقة بالرغم من أنه لا يقول بحتمية زوال الحضارات. -يشتراط في تعريف الحضارة وجود الأخلاق، كما يشترط حصول المساعدة لبني البشر من منجزات تلك الحضارة. -يركز مالك على قيمة الإنسان ويجعل منه العنصر الأول في معادلة الحضارة، وربط مراحل الحضارة به ويتطوره، لكن التركيز عليه كان من جانب نفسي اجتماعي أكثر من الجانب الديني مع أنه يستعرض بعض الآيات على ذلك. -يركز على أهمية الفكرة الدينية في قيام أي حضارة كانت ولو لادينية، لكنه لم يفصل في المسائل العقيدية بالرغم من اعتباره الفكرة العقيدية هي العامل المركب في معادلة الحضارة. -كما يرى أنّ الحضارة الإسلامية خبت لفقدان العقيدة فاعليتها في النفوس. -يركز على معنى التخلي قبل التحلية في مشكلة الثقافة، فهو يدعو للتخلي عن الموروثات الثقافية المدمرة والممانعة من التقدم -اعتبر التراب ثاني عناصر المعادلة الطبيعية، ودعا لتعلم السنن الكونية في	-لا يقول بحتمية زوال الحضارات، ويفند ذلك بشدة، بحكم أن التحضر فعل مكتسب، فالتخلي عنه كذلك فعل مكتسب، ولولا ذلك لما كان هذا الأمر تكليفا إلهيا، فهو يقوم على الإرادة الإنسانية ولا جبرية فيه. -يشتراط في تعريف الحضارة وجود المقياس القيمي، وعليه تقاس إن كانت حضارة أو مجرد تقدم مادي. -يركز على قيمة الإنسان في الحضارة لكن تركيزه الأكبر كان على إبراز مكانة الإنسان عقديا كما جاءت بها نصوص الوحي. -ركز على أثر الفكرة القرآنية في الدفع الحضاري، كما ركز على ضرورة الإصلاح العقدي وجعل هذا شغله الشاغل، لكنّه لم يشترط الدّين لقيام الحضارات من غير الحضارة الإسلامية. -وكذلك يرى النجار أن علم العقيدة قد طرأ عليه تشويش في مرحلة ركوده، ولا بد من تجديده حتى تستعيد العقيدة فعاليتها كما كانت من قبل. -يدعو للتخلي عن أسباب التخلف قبل مباشرة العملية التحضرية، وذلك بدراسة الواقع ومعرفة العوائق التي تعيق الاستئناف الحضاري.

-اعتبر هو كذلك البيئة الطبيعية ثان عناصر المعادلة الحضارية، وحرص على تبين مكانتها في شريعتنا الإسلامية بسوق الأدلة الغزيرة من الوحيين، حتى يقنع القارئ بضرورة مباشرتها برفق. -معنى الخلافة لله وهو الشرط الأول لتحقيق التحضر الإسلامي، والذي لا بد أن يصطبغ بروح الإسلام، وأولها تحقيق الاستخلاف، لأن الخلافة هي مهمة الإنسان الوجودية. -ذكر ذلك في معنى الشهودية على الناس، فالمسلمون مطالبون بمشاركة غيرهم ما يحوزونه من العلم كما هم مطالبون بمعاملتهم بالعدل، ونصرة المظلومين منهم قياما بواجب الشهادة عليهم -يدعو للاستئناف الحضاري، لأن الأمة الإسلامية لم تفقد تحضرها بالكلية، وهي الأمة الوحيدة بين الأمم التي لم تزَل حضارتها بشكل نهائي، وإنما بقيت محافظة على خصائصها إلى حد ما، بالرغم مما تعرضت ولا زالت تتعرض له من صعوبات، وهذا ما يفسر عدم تحقيقها للتحضر المعروض عليها بغير الطابع الإسلامي لأنها لم تنصهر بل لا زالت محافظة على روحها الخاصة. -بينما يرى النجار الحل كله في الإصلاح العقدي بالمعنى الشامل الذي وضعه للعقيدة الإسلامية، فحين يزال الخلل من تحمل الناس	تطويعه، واجتهد في دراسة مقدرات هذا العنصر والمشاكل التي يعاني منها في بلده وجعل الحل في الشجرة. -لم يستعمل اصطلاح "الخلافة" و"الاستخلاف" لكنه أكد على ضرورة الدين في تشييد حضارتنا. -دعا لتقديم المصلحة الإنسانية المشتركة، والتعايش مع الآخر والتعاون معه لتحقيق التحضر العام، لأن المسلمين يشتركون مع غيرهم في هذا العالم وعلمهم العمل المشترك. -يعتبر مالك أن الحضارة الإسلامية توقفت في عصر ما بعد الموحدين، ولا بد للعمل لإنشاءها من جديد، ودفع عجلتها من نقطة الصفر التي هي فيها، لأنها بعد ذلك العصر بلغت مرحلة الغريزة وبالتالي أكملت دورتها وعليها الانطلاق في دورة أخرى بادئة بمرحلة الروح ومن ثم العقل، مندفعة بقوة العقيدة الإسلامية. -ركز على تحقيق هذا الإصلاح الثقافي والاجتماعي، بدءا من نفس الفرد الواحد حتى تعم المجتمع "ميلاد مجتمع"	
--	--	--

لعمقهم سوف يصلح كل شيء ويتغير نحو الأحسن. -بينما يولي النجار علم العقيدة كل الاهتمام. -بينما اشترط النجار في عنصر البيئة أن تكون وسطا لا تميل إلى العطاء المفرط ولا إلى القسوة الطاغية فكلا الحالتان تحولان دون تحقيق الحضارة، ولا يستطيع الإنسان فعل شيء آنذاك. -تفرد بذكره عامل الدافع الحضاري ضمن العوامل -اهتم بالدعوة لتحقيق مهمة الإنسان الوجودية وهي الاستخلاف ونجد كتبه تعج بهذه المصطلحات. -قسم عوامل التحضر إلى قسمين: عام تشترك فيه جميع الحضارات، وخاص بالتحضر الإسلامي فقط -خطابه ديني يركز فيه على القواعد القرآنية في فقه التحضر، بل ويشترط تلك القواعد حتى يكون التحضر الإسلامي متميزا بخصائصه. -يفصل في قضية التحضر بحيث لا يعتبر مجرد التقدم المادي حضارة، ونجده يفضل حضارة بدائية تزخر بالقيم على حضارة متقدمة ماديًا وخالية من القيم.	-أولى مالك علم النفس والاجتماع الأهمية في تغيير الفرد وتحضيره للحضارة. -جعل النجار التراب عنصرا ضروريا في تحقيق الحضارة، ورأى أنه يمكن توفيره لأي شعب كان في أي مكان كان، فقط عليه العمل على تطويعه ومعرفة كيفية الانتفاع به. -تفرد بذكره لعامل الوقت ضمن عناصر التحضر. -اهتم بمعالجة مشكلات الثقافة ومشكلة الأفكار ولا نجده يركز على موضوع الاستخلاف. -وضع معادلة واحدة للحضارة يمكن تطبيقها على أي حضارة كيفما كانت. -كان خطابه في الأغلب عاما يستطيع أن يفهمه المسلم وغيره، خاصة وأنّ جل مؤلفاته بالفرنسية. -ولا يفرق كثيرا بين الحضارات بحيث يعتبر تقريبا كل تقدم لمجتمع ما حضارة، بالرغم من تفصيله في المسألة واعتباره التقدم المادي المحض مجرد تكديس للأشياء الحضارية. -درس النماذج الحضارية للبلدان الإسلامية وغيرها، كتجربة الألمان واليابان وأندونيسيا.	نقاط الاختلاف.
---	--	-----------------------

-يركز على ضرورة الاستقلال الاقتصادي والسياسي والثقافي في قيام الحضارة. -يركز على مبدأ "التوحيد" شرطاً للتحضر الإسلامي. -يضع أربعة عوامل إضافية لازمة لتحقيق التحضر الإسلامي وهي ترشيد الاعتقاد وتسديد الفكر وتحقيق النفي الحضاري وتكوين السلطة الإنجازية. -وإلى الاهتمام بالجمال يدعو النجار كذلك، باعتباره ضرورة حضارية لا تقوم بغيرها، وباعتباره الجمال والفن من مداخل الإيمان.	-يركز على ضرورة الاستقلال الاقتصادي والسياسي والثقافي في قيام الحضارة. -يهتم بالشأن الجمالي كثيراً ويجعل الإبداع من متطلبات الحضارة، كما يدعو لضرورة التوجيه العملي.
---	--

4. خاتمة

- في ختام هذا البحث الذي تناولت فيه عوامل الحضارة عند كل من مالك بن نبي، وعبد المجيد النجار، أود أن أشير إلى أهم النتائج المتوصل إليها من خلاله وهي كالاتي:
- أصبحت قضية الحضارة هي الشغل الشاغل للكثير من المفكرين الإسلاميين في القرنين الأخيرين.
 - مالك بن نبي وعبد المجيد النجار مفكران إسلاميان غيوران على دينهما وأمتهم، يجودان بعصارة فكريهما، وما توصلا إليه من خلال دراستهما وتجاربهما، من أجل المساهمة في تشييد التحضر.
 - معادلة الحضارة عند بن نبي هي: الحضارة=إنسان+تراب+زمن.
 - معادلة الحضارة عند عبد المجيد النجار نوعان، عامة تصلح للتطبيق على كل الحضارات، وخاصة بالتحضر الإسلامي فقط، وهما: الحضارة=فكرة+بيئة طبيعية+دافع حضاري
 - التحضر الإسلامي= خلافة لله+شهودية على الناس+ارتفاع بالكون.
 - الفكرة الدينية هي الدافع الأساسي في تشييد الحضارة عند كليهما.
 - تفعيل العقيدة في الأنفس هي المفاعل الحضاري الذي لا بد من العمل عليه.

- لا تقوم الحضارة إلا بإصلاح كل فرد منا نفسه، ثم مشاركة غيره في النفير لأجل إقامتها على أرض الواقع.
- لا بد لحضارتنا أن تقوم كما قامت في الزمن الأول، وأن تحمل نفس الروح التي حملتها آنذاك متصفة بمبدأ التوحيد، و متحلية بقيم الإسلام العليا.
- واقترح أن تقام لدراسة هذه الأفكار النهضوية مخابر جامعية، والتي تشرف بدورها على مؤسسات مجتمعية، تسعى لتطبيق خلاصة أفكار المصلحين حتى لا يبقى حصاد عقولهم حبيس رفوف المكتبات

5. قائمة المراجع

• المؤلفات:

- ابن خلدون عبد الرحمن (1981)، المقدمة، بيروت، لبنان، دار الفكر.
- ابن نبي مالك (2002)، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دمشق، سوريا، دار الفكر.
- ابن نبي مالك، (2000)، مشكلة الثقافة، دمشق، سوريا، دار الفكر.
- ابن نبي مالك، (2000)، القضايا الكبرى، دمشق، سوريا، دار الفكر.
- ابن نبي مالك، (1986) شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دمشق، سوريا، دار الفكر.
- ابن نبي، مالك، (1986)، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، سوريا، دار الفكر.
- الخطيب، سليمان، (1993)، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- النجار، عبد المجيد، (1993)، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- النجار، عبد المجيد، (2006) الشهود الحضاري -فقه التحضر-، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- النجار، عبد المجيد، (2006)، الشهود الحضاري -عوامل الإشهاد الحضاري- بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- النجار، عبد المجيد، (2004)، قضايا البيئة من منظور إسلامي، قطر، مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

• الأطروحات:

- عطار، إكرام، (2023-2022)، المسألة العقدية والأخلاقية في المشروع الإصلاحي عند مالك بن نبي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.
- شبلي، هجيرة، (2018-2017)، فلسفة التحضر عند عبد المجيد النجار، كلية أصول الدين، قسم عقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، الجزائر

• المقالات:

- أبرير، الطاهر، (2020)، الحضارة في فكر مالك بن نبي، مجلة الفكر المتوسطي، المجلد 9، العدد 2، ص 110-138.
- النجار، عبد المجيد، (1995)، دور الإصلاح العقدي في النهضة، تونس، مجلة إسلامية المعرفة، العدد 1، ص 1-8.
- بركات، محمد مراد، (2003)، مالك بن نبي فيلسوف الحضارة وشاهد القرن، مجلة رؤى، السنة الرابعة، العدد 20.

• مواقع الانترنت:

- عبد المجيد النجار، الشهودية على الناس، لقاء صحفي مصور يستضيفه فيه حذيفة عكاش، على قناة "رؤية للفكر" على منصة يوتيوب.

6- Bibliography List

• Books :

- Ibn Khaldun, Abd al-Rahman (1981), Al-Muqaddimah, Beirut, Lebanon, Dar al-Fikr.
- Ibn Abi Malik (2002), The Problem of Ideas in the Muslim World, Damascus, Syria, Dar al-Fikr.
- Ibn Abi Malik (2000), The Problem of Culture, Damascus, Syria, Dar al-Fikr.
- Ibn Abi Malik (2000), The Major Issues, Damascus, Syria, Dar al-Fikr.
- Ibn Abi Malik (1986), Conditions of the Renaissance, translated by Abd al-Sabur Shahin and Omar Kamil Misqawi, Damascus, Syria, Dar al-Fikr.
- Ibn Abi Malik (1986), The Birth of a Society, translated by Abd al-Sabur Shahin, Damascus, Syria, Dar al-Fikr.
- Al-Khatib, Suleiman (1993), The Philosophy of Civilization in the Thought of Malik Bin Nabi, Lebanon, The University Foundation for Studies, Publishing, and Distribution.

- Al-Najjar, Abd al-Majid (1993), The Succession of Man between Revelation and Reason, United States, International Institute of Islamic Thought.
- Al-Najjar, Abd al-Majid (2006), The Civilizational Testimony - Jurisprudence of Civilization, Beirut, Lebanon, Dar al-Gharb al-Islami.
- Al-Najjar, Abd al-Majid (2006), The Civilizational Testimony - Factors of Civilizational Witnessing, Beirut, Lebanon, Dar al-Gharb al-Islami.
- Al-Najjar, Abd al-Majid (2004), Environmental Issues from an Islamic Perspective, Qatar, Center for Research and Studies, Ministry of Awqaf and Religious Affairs.

• Theses:

- Attar, Ikram (2022-2023), The Doctrinal and Ethical Issue in the Reformist Project of Malik Bin Nabi, Faculty of Humanities and Social Sciences, Department of Islamic Sciences, University of Abu Bakr Belkaid, Tlemcen, Algeria.
- Shibli, Hajira (2017-2018), The Philosophy of Civilization in the Thought of Abd al-Majid al-Najjar, Faculty of Fundamentals of Religion, Department of Doctrine and Comparative Religions, Emir Abdelkader University, Constantine, Algeria.

• Articles:

- Abrir, Al-Taher (2020), Civilization in the Thought of Malik Bin Nabi, Journal of Mediterranean Thought, Vol. 9, No. 2, pp. 110-138.
- Al-Najjar, Abd al-Majid (1995), The Role of Doctrinal Reform in the Renaissance, Tunisia, Islamic Knowledge Magazine, Issue 1, pp. 1-8.
- Barakat, Muhammad Murad (2003), Malik Bin Nabi, Philosopher of Civilization and Witness of the Century, Ro'ya Magazine, Year 4, Issue 20.

• Internet websites:

- Abd al-Majid al-Najjar, "Witnessing over People," a recorded interview hosted by Hudhayfa Akkash on "Ruyah for Thought" channel on YouTube